الموضوع الرابع

العثمانيون والعالم الحربى

• العثمانيون بين قوتين

فى بدايات القرن العاشر الهجرى ، السادس عشر الميلادى تزعم العالم الإسلامى ثلاث قوى متميزة وهى: دولة المماليك فى مصر والشام والحجاز واليمن ، والدولة الصفوية فى فارس ، والدولة العثمانية فى الأناضول والبلقان . وقد استطاعت أن تمد سيطرتها إلى المجر .

ولما كانت كل قوة من هذه القوى تخشى على نفسها من تعاظم القوتين الأخريين فقد عمل كل طرف من هذه الأطراف على إيجاد عملية توازن مع الطرفين الآخرين حتى لا يشكل أحدهما خطرا عليه . وعلى الرغم من ذلك فإن الصدام بين هذه القوى كان متوقعا ، وكان الحذر المشوب بالقلق ينتاب كلا منهم تجاه الآخر . وانتهى الأمر بتحول الجهاد الإسلامى ضد النصارى إلى حروب فيما بين المسلمين أنفسهم ، وفيما يلى نعرض لهذه الأطراف الثلاثة ، والصراع الذى حدث بينهم وانتهى بانتصار العثمانيين .

أولا : الصفويين :-

ينتسب الصفويون إلى الشيخ صفى الدين اسحق الأردبيلى[1] (٦٥٠-٧٣٥هـ) (١٢٥٢-١٣٣٤م) وقد بدأ نفوذهم يبرز فى إيران خلال القرن التاسع الهجرى وكانوا يقولون بامتداد نسبهم إلى الحسين بن على بن أبى طالب[2] من جهة ، وإلى يزدجرد الساسانى من جهة أخرى ، وقد أسس أحدهم وهو إسماعيل الصفوى دولتهم فى أذربيجان عام ٩٦٠هـ/١٥٠٠م ثم بسط نفوذه فى شروان والعراق والأوزبك وفارس واتخذ من تبريز[3] عاصمة لدولته .

١- أردبيل فى أزربيجان .

٢- لتفاصيل ذلك انظر د. ربيع جمعه : الشاه إسماعيل الكبير ، بيروت، دار النهضة العربية ١٩٨٠ .

٣- تقع فى الشمال الغربى من إيران بالقرب من الحدود التركية .

وما إن تم لإسماعيل الصفوى بسط نفوذه على إيران كلها حتى كشف عن عزمه على إعلاء شأن الشيعة[1] فأعلن أنه سليل الإمام السابع[2] . كما أعلن أن المذهب الشيعى هو دين الدولة . ولكى يحقق أهدافه فى تحويل إيران إلى المذهب الشيعى رأى أن القوة السياسية يجب أن تساندها قوة عسكرية مخلصة تربطها به وشائج عقائدية متينة تجعلها مستعدة للاستماتة فى الدفاع عن معتقداتها ، ومن هنا اعتمد على القوى العشائرية المتعصبة للمذهب الشيعى حتى صارت دعامة قوية وسندا للأسرة الصفوية[3] . وحارب إسماعيل الصفوى أهل السنة ، وكان أهل السنة أكثرية سكان البلاد فى ذلك الوقت[4] وراح يحملهم قسرا على الدخول فى المذهب الشيعى ومن أجل ذلك لم يتردد فى إفناء مدن بأسرها والقضاء على العلماء والأعلام زرافات ووحدانا حين يرفضون الاستجابة لدعوته[5] .

وفى هذا الوقت الذى ظهر فيه الصفويون كان البرتغاليون يلتفون حول أفريقية ويدخلون المحيط الهندى ، ولما اتصلوا بشيعة إيران لم يجدوا صعوبة فى التعاون معهم من أجل القضاء على الأساطيل العربية ، واحتلال سواحل الخليج ، وتصفية الحكم العربى أينما وجد ، وغزو الجزيرة العربية[6] فى نظير مساعدة البرتغاليين للشاه فى اخماد ثورة مكران[7] .

---

١ - د. أحمد محمود الساداتى: تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها ، القاهرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ١٩٧٩م ص ١٥٢ .

٢- الامام السابع عند الامامية الجعفرية هو موسى الكاظم .

٣- عبد العزيز نوار : الشعوب الإسلامية ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٣ ص ٢٢٠-٢٢١ .

٤- أرنولد توينبى : تاريخ البشرية جـ٢ ، ترجمة نقولا زيادة ، بيروت ، الأهلية للنشر ١٩٨٨ ص ١٨٨ وأيضا د. عبد الله محمد غريب وجاء دور المجوس - الأبعاد التاريخية والعقائدية والسياسية للثورة الإيرانية ، القاهرة ، دار الجيل للطباعة ١٩٨١ ص ٨٠ .

٥- الساداتى : المرجع السابق ص ١٥٢ .

٦- كان من أهداف غزو الجزيرة العربية قيام البرتغاليين بالاعتداء على مكة والمدينة ولكن الله حمى بيته الحرام ومثوى رسوله الأمين .

للتفاصيل انظر ل.جى. لوريمر: الكويت فى دليل الخليج ، الكويت ، الجزء الأول ، الطبعة الأولى ١٩٨١ ص١٠ .

٧- أمين سعيد : الخليج العربى فى تاريخه السياسى ونهضته الحديثة ، بيروت ، دار الكاتب العربى ص ٢٩ .

ولما كان العثمانيون يعدون أنفسهم حماة المذهب السنى فقد وجدوا فى الدعوة الصفوية الشيعية تحديا أساسيا لهم ، وخطرا على مستقبلهم وخصوصا أن الشاه إسماعيل الصفوى بدأ يمد نفوذه على العراق وعلى مناطق الأوزبك[١] وشرق الأناضول ، ويرسل منات الدعاة لنشر المذهب الشيعى هناك[٢] حتى لقى هذا المذهب استجابة واسعة فى هذه المناطق[٣] . ونتيجة لذلك غير السلطان سليم الأول - الذى تولى العرش بتأييد من الانكشارية باعتباره منقذا للامبراطورية العثمانية من الخطر الشيعى - خطة أسلافه بالتوسع شطر شرق أوربا إلى جنوبى الأناضول لمقاتلة الصفويين ووقف المد الشيعى تجاه بلاده ، فأعلن سليم الأول الحرب على الصفويين ، وزحف بجيوشه من مدينة أدرنة فى ٢٢ من المحرم ٩٢٠هـ ، الموافق ١٩ من مارس ١٥١٤م قاصدا مدينة تبريز ، ولكى تنهك قوات الشاه إسماعيل الصفوى قوى العثمانيين بدأت تتقهقر أمامهم فى محاولة لاستدراجهم[٤] . واستمر الصفويون فى تقهقرهم حتى دارت المعركة الحاسمة بين سليم الأول والشاه إسماعيل الصفوى فى وادى شالدران (جالديران) فى ٦من رجب ٩٢٠هـ/١٥١٤م وانهزم الفرس وانتصرت الجيوش العثمانية[٥] ، بعد معركة فاصلة وصفها أحد المعاصرين بقوله "كان بينهما هناك وقعة مهولة تشيب منها النواصى ، وتذهل العقول عند سماعها من كل دان وقاص ، فصيرت الرؤوس عن الأجساد طائرة ، وطفشت[٦] العساكر بالخيول الغائرة ، ووقع القتل بالسيف حتى أجرى الدماء منهم كالسيل .. فيا لها من ساعة مهولة ، لا ترضى الله ولا رسوله ، فوقعت الكسرة على عساكر ابن عثمان أولا وقتل من عسكره ما لا يحصى عددهم ... فلما عاين ابن عثمان ما وقع له من هذه الكسرة .. قام على عسكره وحضهم على القتال .. فانكسر الصوفى وولى

١- كان الأوزبك يحكمون بلاد ما وراء النهر التى تضم التركستان وبخارى وسمرقند .

٢- أحمد عبد الرحيم مصطفى: فى أصول التاريخ العثمانى ، بيروت ، دار الشروق ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ص ٧٧ .

٣- عبد العزيز الشناوى: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها جـ١ ، القاهرة، الأنجلو المصرية ص١٩ .

٤- محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية - تحقيق إحسان حقى ، بيروت ، دار النفائس ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ص ١٩٠ .

٥- عبد العزيز نوار: تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا إلى نهاية مدحت باشا ، القاهرة ، دار الكاتب العربى ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م ص٦ .

٦- كلمة عامية بمعنى فرت .

مرزوما ربتل من عسكره أضعاف ما قتل من عساكر الروم[١] .

وفر الشاه بعد أن أصابته بجروح ، ووقع كثير من قواده وجنده فى الأسر وأسرت أيضا إحدى زوجاته ، وفتحت المدينة أبوابها ودخلها السلطان منصورا فى ١٤ من رجب ٩٢٠هـ واستولى على خزائن الشاه وأرسلها إلى القسطنطينية[٢] وقطع رؤوس من قتل من أمراء أعدائه وأرسلها إلى بلاده فطافوا بها هناك[٣] ، ولكن سليما لم يشأ أن يتابع تقدمه إلى ما وراء تبريز نظرا لامتناع الانكشارية عن التقدم لاشتداد البرد ، وصعوبة المسالك ، وقلة المؤونة اللازمة فقفل راجعا إلى بلاده مكتفيا بكبح جماح الفرس[٤] ، وخشية ثورة الانكشارية عليه .

ونتيجة لمعارك السلطان سليم مع الصفويين يتضح ما يلى :

١- نجاح العثمانيين فى الحد من نشر المذهب الشيعى فى الأناضول والبلاد العربية حيث منعوا زحف المذهب الشيعى على الشرق العربى الآسيوى ومصر ، واستأصلوا هذا المذهب من الأناضول[٥] .

٢- استثمار أوربا لهذه الخلافات ومحاولتها التسلل إلى الشرق الإسلامى ، ومدها للفرس بالأسلحة الحديثة ليحاربوا بها العثمانيين بغية الحد من زحفهم المتواصل على أوربا[٦] .

٣- استيلاء العثمانيين على ديار بكر ، ومد سلطانهم على الأجزاء الشمالية من العراق .

٤- هز كيان الموالين لإيران، وزعزعة نفوذهم[٧] .

١- محمد بن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور جـ٤ ، القاهرة ، الهيئة المصرية للكتاب ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ص٤٠٢-٤٠٣ .

٢- محمد فريد : المرجع السابق ص ١٩٠ .

٣- ابن اياس : المصدر السابق ص ٤٠٣ .

٤- نوار : المرجع السابق ص ٦ .

٥- الشناوى : المرجع السابق جـ١ ص٢٤ .

٦- الساداتى : المرجع السابق ص٢٥٢ .

٧- مجموعة الأساتذة : العراق فى التاريخ ، بغداد ، ١٩٨٣ ص٥٦٨ .

ثانيا : الأتراك العثمانيون : -

ينتمى العثمانيون الأوائل إلى إحدى عشائر قبيلة الغز التركية ، والتى تعرف باسم قابى ، وقد هاجرت هذه القبيلة من المشرق إلى الأناضول فى القرن الثالث عشر الميلادى هربا من جنكيزخان ووصلت إلى آسيا الصغرى وبعض شواطئ البحر الأسود وأرمينيا حيث التجأت إلى السلاجقة المسلمين فحموهم وأقطعوهم أراضى لمواشيهم .

وكانوا يعتمدون فى حل ما يواجههم من مشكلات على زعيمهم عثمان الذى ولد على حسب الروايات التاريخية فى عام ١٢٥٨م ، ولما كانت الحروب الصليبية قد دارت رحاها فى ذلك الوقت فقد تطوع عثمان مع بعض رجاله لنصرة بعض سلاطين السلاجقة، وأظهر شجاعة وحسن دراية فاستدعى ذلك مكافأته وتقديره ، فعين حاكما على إحدى المقاطعات ، وبعد وفاة السلطان السلجوقى أعلن عثمان استقلاله(١) ، وبسقوط دولة السلاجقة على يد المغول الايلخانيين تمكنت الإمارة من استقطاب عدد من الإمارات التركية المسلمة فى الأناضول وهى الامارات الناشئة على انقاض دولة السلاجقة واستأنفت توسعها غربا فاتجهت منذ سنة ١٣٤٥م إلى أوربا الشرقية فاستولت على أجزاء كبيرة منها وتوجت أعمالها العسكرية فى عهد محمد الفاتح بفتح القسطنطينية عام ١٤٥٣م .

وما أن انتهى القرن الخامس عشر حتى كانت الدولة العثمانية تشمل الأناضول واليونان وشبه جزيرة البلقان وجزائر بحر إيجة وجزيرة فى جنوب إيطاليا(٢) .

وفى عهد السلطان سليم الأول ١٥١٢-١٥٢٠م اتجهت الفتوحات نحو الشرق ، بعد تحديات الشاه إسماعيل الصفوى لأهل السنة والجماعة ، فدفع ذلك سليما إلى العمل على مد سلطانه إلى الأناضول وبلاد الشام . ولم يكن السلطان سليم يرى كبير فرق بين الشاه إسماعيل وجنده ، وبين أى من حكام أوربا فى عدائهم للإسلام ، خصوصا أن الشاه رسم سياسته التوسعية على أساس التحالف مع البرتغاليين . ولما كان العثمانيون يعدون أنفسهم حماة المذهب السنى فقد اتخذت عملياتهم العسكرية ضد الصفويين شكل التدمير والقسوة البالغة(٣) ، وانتهت بانتصارهم فى جالديران ودخول تبريز عاصمة الصفويين ،

١- ميخائيل مشاقة : مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان ، القاهرة ، ١٩٠٨م ص١٩ .

٢- العراق فى التاريخ ص٥٦٦-٥٦٧ .

٣- أكرم العلبى: دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين ٩٠٦-٩٢٢هـ/١٥٠٠-١٥٢٠م ، دمشق ، المتحدة للتوزيع ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ص٣٦٨ ..

وزعزعة النفوذ الإيرانى فى المنطقة ، وهز كيان الموالين لهم[1] . وبعد خروج الصفويين من حلبة الصراع بدأ السلطان سليم يوجه جهوده لاخضاع المماليك ، واعداد العدة لتوحيد الجبهة الإسلامية .

ثالثا : المماليك : -

جلب المماليك من مناطق عدة من أبرزها شبه جزيرة القرم وتركستان وبلاد القوقاز والقفجاق وآسيا الصغرى وفارس والبحر الأسود[2] ، وكان ذلك بطريق الشراء من أسواق النخاسة[3] .

وكان الملك الصالح نجم الدين أيوب أول من اشترى المماليك بشكل مكثف واتخذ منهم جندا بأعداد كثيفة ، وبعد وفاته أفلت زمام الأمور من الأيوبيين وتمكن المماليك من السيطرة على زمام الموقف والقضاء على توران شاه الوريث الشرعى للحكم .

وقد حكم المماليك العديد من البلدان الإسلامية وبخاصة مصر والشام والحجاز ، واستطاعوا حماية ديار الإسلام من المغول الذين تمكنوا من القضاء على الخلافة العباسية والاستيلاء على بغداد فى عام ٦٥٦هـ ، كما تمكنوا من الثبات أمام قوى الصليبيين الذين حكموا العديد من بلاد الشام لفترة ثم أخرجوهم منها .

ونتيجة لحركة الكشوف الجغرافية وتحويل طريق التجارة إلى رأس الرجاء الصالح بدأت أحوال المماليك فى التدهور والضعف بشكل مكن البرتغاليين من هزيمتهم فى موقعة "ديو البحرية" فى عام ١٥٠٩م والاستيلاء على بعض المناطق الاستراتيجية فى البحر الأحمر وتهديد الأماكن الإسلامية المقدسة فى الحجاز وفى خلال ذلك كانت العلاقات المملوكية مع العثمانيين جيدة ، لدرجة أن قام العثمانيون بمساعدة المماليك لتقوية أسطولهم البحرى حتى يتمكن من مواجهة البرتغاليين ، ولكن ذلك لم يستمر طويلا فبعد انتصار السلطان سليم العثمانى على الصفويين بدأ فى التحرش بالمماليك حيث

١- العراق فى التاريخ ص٥٦٨ .

٢- للتفاصيل انظر أبو العباس القلقشندى: صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء جـ٤ ، القاهرة ، ١٩٢٢ ص٤٤٧ .

٣- كان بالقاهرة أسواق لهذا الرقيق تعقد فى خان الخليلى ، وكان للسلاطين عمال يختارون لهم ما يناسبهم من الغلمان كما كان الأمراء والوزراء والقضاء يختارون من شاءوا منهم أناثا وذكورا فيذهبون بالنجباء منهم إلى المدارس يلقنونهم أصول الدين والعلم ثم يدربونهم على فنون الحرب وقيادة الجند .

دمر إمارة "البستان(١)" الواقعة تحت حمايتهم ، وحشد قواته فى مواجهتهم وخاصة أنهم قاموا بإيواء الثائرين عليه ومنهم الأمير جم ابن السلطان محمد الثانى الذى كان يرى نفسه أحق من السلطان سليم بالحكم ، ورفضوا تسليم اللاجئين إليهم .

وبعد أن أرسل السلطان سليم الأول فى يونيو ١٥١٦م برسالة مهينة إلى السلطان قنصوة الغورى يطالبه فيها بأن يلاقيه عند مرج دابق ، أخذ الغورى فى الاستعداد لملاقاة العثمانيين ، وطلب من مماليكه الاستعداد للمعركة ومن قوله فى هذه الشأن "والذى منكم متزوج يطلق زوجته حتى لا يبقى وراءكم التفاتة إذا سافرتم فى التجريدة(٢)" كما طلب من الخليفة العباسى فى مصر محمد المتوكل الاستعداد للسفر معه .

ومضى الغورى على رأس جيشه إلى بلاد الشام ، وأناب عنه طومان باى فى مصر ، ووصل الغورى إلى حلب فى يوليو ١٥١٦م ، وحدث قتال شديد بين الطرفين انهزم فيه العثمانيون فى بداية الأمر لدرجة أن هم السلطان سليم بالهرب وخاصة بعد أن قتل من عساكره ما يزيد عن عشرة آلاف(٣) ولكن سرعان ما لعبت الخيانة دورها فقد أطلق "خاير بك" نائب حلب – الذى استطاع السلطان العثمانى رشوته وضمه إلى صفوفه– بعض الشائعات بين صفوف المماليك بهدف إحداث الفرقة بينهم ومنها أن السلطان المملوكى أبعد مماليكه الجلبان عن قلب المعركة ، وترك لجنود القرانصة وقودا للحرب ومنها أن السلطان الغورى قتل فى أثناء المعركة فتبلبلت الأفكار ، وشاع الذعر فى صفوف المماليك لدرجة أن اضطربت أحوالهم وأخذ بعضهم فى الفرار ، ولم ينجح الغورى فى السيطرة على الموقف وأفلت منه الزمام ونتيجة لعدم تحمله لصدمة الهزيمة انقلب من فوق جواده على الأرض فاقد الوعى(٤) وداسته سنابك خيول العثمانيين المندفعة وراء المماليك المتقهقرين ، فلما رأى ذلك أمراؤه القريبون منه خشوا أن يقع فى أسر العثمانيين فيفصلوا رأسه عن جسده ، ويطوفوا بها فى بلادهم فقرروا قتله بأنفسهم فقطعوا رأسه ورموها فى جب وأخذوا جثته وألقوها فى نهر قريب(٥) .

١- لهذه الإمارة أسماء أخرى منها ذو القادر .

٢- للتفاصيل انظر ابن اياس: بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، جـ٣ ، القاهرة ، المطبعة الأميرية ببولاق الطبعة الأولى ١٣١٢هـ ص٥ .

٣- ابن اياس : المصدر السابق جـ٣ ص٤٧ .

٤- ابن زنبل : تاريخ السلطان سليم مع قانصوه الغورى ، جزءان ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٨ .

٥- ابن زنبل : ص ٥٠ .

وانتهت معركة مرج دابق التى لم تستمر سوى يوم واحد وذهب ضحيتها الألوف من الطرفين بتغيير الأوضاع فى العالم الإسلامى فاستولى العثمانيون على بلاد الشام وبدأوا فى التأهب للسيطرة على مصر .

ويرجع أسباب هذا الانتصار إلى عوامل عدة من أهمها :

١- تفوق القوات العثمانية فى سلاح المدفعية الذى لا يمتلكه المماليك .

٢- خيانة خاير بك نائب السلطان الغورى فى حلب .

٣- الوقيعة بين المماليك الجلبان والقرانصة عند احتدام المعارك .

وقد دخل السلطان سليم حلب دون مقاومة ، فأمن أهلها على أرواحهم وأولادهم وممتلكاتهم ، كما دخل دمشق وغيرها من المدن السورية .

وعندما قابل الجيش المملوكى إلى مصر وهم فى أسوأ حال فكانوا ممزقى الثياب، نحيلى الأجسام وبعد أن وصل نبأ الهزيمة إلى القاهرة اجتمع المماليك لاختيار سلطان جديد يتولى أمور البلاد . واستقرت أمور البلاد فى النهاية على اختيار "طومان باى" . ولما تردد طومان باى فى الأمر خشية الغدر به قام الأمراء بالقسم على المصحف بألا يغدروا به أو يثيروا فتنا ضده(٢) .

وبعد أن علم "طومان باى" بزحف السلطان سليم على مصر ، ووصوله إلى غزة نادى المماليك بالخروج من غير تأخر ، فخرج العسكر مسرعين ، ووقعت معارك عنيفة انكسر فيها المماليك ثم أخذ طومان باى فى إعادة تجميع صفوفه عند الريدانية (بالقرب من العباسية) . ولما أقبلت العساكر العثمانية التقى معها المماليك فى معركة مهولة انتهت بهزيمتهم وانكسارهم(٣) .

ودخل العثمانيون القاهرة بالسيف عنوة فى يوم الجمعة الموافق ٢٣ من يناير١٥١٧م وخطب للسلطان سليم على منابرها . مع ذلك لم يستسلم طومان باى فقد أخذ يعد العدة للمقاومة واشتبك مع العثمانيين فى عدة معارك ولما لم يتمكن من الظفر بهم احتمى عند أحد مشايخ العربان ولكن الشيخ الذى احتمى عنده تنكر له وسلمه للسلطان سليم فأمر بإعدامه .

١- القرمانى : أخبار الدول وآثار الدول ، القاهرة ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٦٢٦ ص٩٩ .

٢- ابن اياس : المصدر السابق جـ٣ ، ص٦٩ .

٣- ابن اياس : المصدر السابق جـ٣ ، ص٩٧ .

ويذكر ابن إياس ان طومان باى طلب من الناس فى أثناء ذهابه إلى المشنقة أن يقرأوا عليه "الفاتحة ثلاث مرات ثم بسط يده وقرأ الفاتحة ثلاث مرات وقرأت الناس معه ثم قال للمشاعلى اعمل شغلك ... فلما شنق وطلعت روحه صرخت عليه الناس صرخة عظيمة وكثر عليه الحزن والأسف(١)" .

وباعدام طومان باى انتهت سلطنة المماليك على مصر ، كما انتهت من قبل على الشام بمقتل الغورى ، وخضعت البلاد حوالى أربعة قرون تحت السيادة العثمانية .

أما عن الحجاز فقد خضعت سلما للعثمانيين . فقد أرسل الشريف بركات ابنه أبانمى إلى السلطان سليم بالقاهرة ليهنئه بانتصاراته على المماليك وحكم مصر وليعلن الولاء للعثمانيين فثبته السلطان سليم على شرافة مكة ، وجعله المتصرف فى أمرها ، كما أضاف إليه أمور الحسبة بمكة أيضا(٢) .

نظام الحكم العثمانى فى العالم العربى

ارتكز نظام الحكم العثمانى فى العالم العربى على أربعة أمور أساسية هى :

١- الإبقاء على أحوال العالم العربى الاجتماعية والعلمية والاقتصادية والتركيبة السكانية كما هى قبل الفتح العثمانى لها ، فلم تحاول الدولة العثمانية مثلا صبغ أهل الولايات العربية التابعة لها بالصبغة العثمانية أو بربطهم برباط الحضارة العثمانية(٣) ، كما لم تحاول فرض اللغة التركية عليهم بدلا من العربية .

٢- عزل العالم العربى عزلا يكاد يكون تاما عن التيارات الاقتصادية والسياسية العالمية بحيث لا يتأثر بما يدور فى العالم الخارجى .

٣- كان المجتمع فى نظر العثمانيين عبارة عن قسمين : الأتراك وهم الحكام الذين يتمتعون بكافة الامتيازات ، والرعية وهم المحكومون الذين يتحتم عليهم خدمة الحكام والاستجابة لمطالبهم .

١- ابن اياس : المصدر السابق ص١١٥ .

٢- ابن اياس : المصدر السابق جـ٣ ، ص١٢٤-١٢٦ .

٣- محمد رفعت رمضان : على بك الكبير ، القاهرة ، دار الفكر العربى ١٩٥٠ ص٦ .

وقد أدى انعزال الطبقة الحاكمة التركية عن الأهالى وتعالى أفرادها عليهم إلى ضآلة تأثير الحكم العثمانى(١) .

٤- ان فكرة الحكم عند العثمانيين كانت ترتكز على أن للدولة وظائف محددة ، ومسئوليتها لا تخرج عن المحافظة على سيادتها ومصالحها فى هذه الولايات أما عن الخدمات العامة مثل التعليم والصحة فانها لا تدخل ضمن مسئوليتها أو اختصاصاتها ، ومن هنا تحددت مهام الدولة العثمانية فيما يلى :

١- الدفاع عن الولايات التابعة للدولة وحفظ الأمن فيها .

٢- جمع الأموال وإنشاء إدارة ماليةٍ خاصة بذلك .

٣- إقامة نظام قضائى للفصل فى المنازعات التى تحدث بين الأهالى .

وعلى هذا النحو ارتكزت فلسفة الحكم العثمانى على عدة أنظمة كان أهمها :

الوالى - الديوان - الحامية العثمانية - العصبيات المحلية(٢) ، وفيما يلى نعرض لذلك :

أولا : الوالى :-

كان السلطان العثمانى يعين الوالى بصفته نائبا له فى الولاية التى يحكمها وكان يلقب بعدة ألقاب منها لقب الباشا وقد وكلت إليه السلطتان المدنية والعسكرية ومسئولية جمع الضرائب ، فكان على رأس الجهاز الادارى وكان يقود الجيوش بنفسه(٣) . ويبلغ الرعايا بأوامر السلطان ويقوم بارسال المقررات المفروضة على ولايته إلى الخزانة السلطانية ، ومع كل ذلك فانه نظرا لشكوك السلاطين فى ولاتهم وعدم الثقة فيهم وخشيتهم من الانفصال بولاياتهم عن الدولة العثمانية ، فقد أحاط السلاطين الولاة بجواسيسهم وعمالهم ، وأخذوا ينتزعون منهم العديد من اختصاصاتهم ، فتركزت النواحى المالية فى يد الدفتردار الذى كان يعين رأسا من القسطنطينية ، وتركزت النواحى الادارية فى يد الكتخدا أو الكخيا الذى كان تعيينه يتم بالقسطنطينية ، وكانت السلطة القضائية ينفرد بها قاضى القضاة الحنفى الذى كانت ترسله القسطنطينية ، وإلى جانب

١- محمد أنيس : حضارة مصر الحديثة ص١٤٤ .

٢- محمد عبد المنعم الرائد: الغزو العثمانى لمصر ونتائجه على الوطن العربى ، الاسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ١٩٦٨ ص٢٦٨ .

٣- أميرة المداح: العثمانيون والامام القاسم محمد فى اليمن ، جدة ، مكتبة تهامة ١٩٨٢ ص١٤٨ .

ذلك كانت الحاميات العثمانية (الاوجاقات) تخضع لسلطة الأغوات الذين لم يكن للوالى سلطات عليهم[١] ، وكثيرا ما حدثت النزاعات بينهما. يضاف إلى ذلك أن مدة حكم الولاة كانت تقتصر على عام واحد يتجدد في بعض الحالات ولا يستكمل في حالات أخرى .

ونتيجة لذلك حرص الولاة على جمع كل ما يمكن جمعه من الأموال خلال فترة حكمهم ، وبشتى الطرق ؛ مشروعة وغير مشروعة ، ومحاولة ملء خزائنهم خلال تلك الفترة القصيرة التى يقضونها فى ولاياتهم وخاصة أنهم كانوا يشترون مناصبهم قبل توليتهم اياها . هذا بالإضافة إلى إهمالهم للمشروعات العمرانية والإصلاحية مثل: حفر الترع أو إقامة السدود أو غيرها[٢] .

ثانيا : الديـــوان : –

الديوان كلمة فارسية بمعنى الدفتر أو السجل ، وقد أطلق على المكان أو الدائرة التى تحفظ فيها السجلات من باب المجاز[٣] ، ثم شمل بعد ذلك المكان الذى يحفظ فيه كل ما يتعلق بحقوق السلطنة العثمانية من الأموال والأعمال ومن يقوم بها من العمال والجيوش وكان الديوان ينقسم إلى قسمين :

الديوان الكبير وهو الذى يفصل فى الموضوعات المهمة ، ولا يجتمع إلا بأمر الباشا ، **والديوان الصغير** وكان يتألف من الكتخدا والدفتردار وهو الذى ينظر فى شئون البلاد العامة ، وينفذ الباشا قراراته[٤] .

ويتكون الديوان الكبير من كبار ضباط الحامية وعلى رأسهم أغا الانكشارية والدفتردار والعلماء وكبار المسئولين ، وكانت العضوية فى الديوان غير ثابتة ، وكان الباشا فى معظم الأحيان هو الذى يختار أعضاؤه .

وكان للديوان تأثير كبير فى ادارة الولايات[٥] فكان بمثابة مجلس وزراء موسع

١– محمد أنيس : المرجع السابق ص١٤٤ .

٢– للتفاصيل انظر محمد كرد على : خطط الشام جـ٢ ، بيروت ، النهضة العربية ١٩٧٢ ص٢٢٥ .

٣– صبحى الصالح : النظم الإسلامية جـ٢ ، بيروت ، دار العلم ، الطبعة الأولى ١٣٩٦ هـ ص٣١٢ .

٤– محمد فواد شكرى : الحملة الفرنسية وظهور محمد على ، القاهرة ، مطبعة المعارف ١٩٦٣ ص١٠-١١ .

٥– كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية – ترجمة نبيه أمين ومنير العلبكى ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٩ ص٤٧٧ .

مهمته الرئيسية مراقبة قرارات الوالى والنظر فى الشئون الاقتصادية والادارية ، وتنظيم شئون القوات العسكرية .

ونتيجة لخشية الدولة العثمانية من تمرد ولاتها عليها والاستقلال بولاياتهم جعلت من أعضاء الديوان عيونا لها على الولاة يبلغونها بتصرفاتهم لمنع الولاة من إساءة استعمال سلطتهم .

ثالثا : الحامية العثمانية : -

هى قوة عسكرية عثمانية كانت ترابط فى الولايات وقد أسست هذه الحاميات فى أعقاب الفتوحات العثمانية للوطن العربى ، فبعد أن فتح السلطان سليم الأول مصر ترك بها حامية تتألف من حوالى اثنى عشر ألف جندى يتكون منها ستة أوجاقات على رأس كل منها أغا ، وكانت هذه الحامية تتكون من أخلاط مختلفة من العسكر(١) .

وكانت مهمة الحاميات : حفظ النظام والدفاع عن الولايات ضد أى خطر خارجى، وقمع العربان . كما كان لها اختصاصات سياسية وادارية ؛ فكان رؤساؤها يشاركون الوالى فى الحكم كما كانوا يحضرون اجتماعات الديوان ، وكانت لهم الكلمة المسموعة . وإلى جانب ذلك كانوا يقومون بتوصيل الخراج إلى الآستانة وكثيرا ما حدثت الخلافات بينهم وبين الوالى ، وكان التفوق فى الفترة الأولى من الحكم العثمانى للوالى ، ثم استطاع رجال الحامية بعد ذلك أن يسيطروا على زمام الأمور .

وعندما دب الضعف فى الدولة العثمانية ضعفت الحاميات فى الولايات وفسد أمرها، ولم تعد صالحة لاستتباب الأمن ، بل تحول أفرادها إلى السلب والنهب والأمثلة على ذلك متعددة نذكر منها أن الحامية فى بلاد الشام كانت من أهم أدوات التخريب ، فقد خرج جنودها عن اختصاصاتهم وكثر اعتداؤهم على الأهالى وتطاولوا على أموالهم وأعراضهم وكثرت شرورهم(٢) .

وفى عدن ثار الأهالى ضد تسلط الحامية العثمانية وغدرها بأميرهم عامر الطاهرى، فاضطرت الآستانة إلى أن ترسل أسطولا بحريا لم يتمكن من السيطرة على الموقف إلا بصعوبة (٣).

١- للتفاصيل انظر الراقد : المرجع السابق ص٢٧٦-٢٧٧ .

٢- محمد كرد على : المرجع السابق ص٢٢٥ .

٣- فاروق أباظة: الحكم العثمانى فى اليمن ، بيروت ، دار العودة ١٩٧٩ ص٢٠ .

وفى ترنس أعلن الجنود عصيانهم ، وهددوا النظام باعتدائهم على الأرواح والممتلكات .

وفى مصر ركنت الحامية العثمانية إلى حياة الاستقرار واندمجت فى الشعب المصرى ، وتركت حياتها العسكرية لدرجة أن الحملة الفرنسية حينما هاجمت مصر فى أواخر القرن الثامن عشر لم تجد من يتصدى لها سوى المماليك وجموع الشعب المصرى(١) .

رابعا : العصبيات المحلية : -

كان هدف العثمانيين من إشراك العصبيات المحلية فى الحكم هو الاستفادة منهم فى إدارة الولايات التى يحكمونها وحتى يظلوا على ولائهم للدولة العثمانية ولا يقوموا بالتمرد عليها. ونتيجة لذلك شارك المماليك فى تولى مقاليد بعض الأمور فى مصر ، كما شاركت بعض العشائر العربية فى الشرقية والبحيرة فى حكم المناطق التى تقطنها ، واعترف السلطان العثمانى بالعصبيات الكردية وأبقى حكم كردستان للبيوتات الكردية الحاكمة فى شمال العراق ، كما ترك لمشايخ العراق سلطة إدارة عشائرهم ، ومن أهم هذه المشيخات مشيخات الخزاعل والعبيد وشمر والمنتفق(٢) .

والسؤال المطروح هو هل ظلت هذه العصبيات على ولائها للدولة العثمانية أو تحينت الفرص للتخلص من الحكم العثمانى واستقلالها عنه ؟

الواقع أن هذه العصبيات كانت غالبا ما تتطلع إلى استرجاع نفوذها القديم ، ومن هنا أخذت فى استغلال فرص انشغال الدولة العثمانية بمشكلاتها الخارجية والداخلية ؛ ففى مصر استطاع على بك الكبير المملوكى القيام بثورة ضد الدولة العثمانية فى عام ١٧٧١م والانفصال عنها ، ولم يستطع العثمانيون السيطرة على زمام الموقف إلا بعد الوقيعة التى دبروها بين على بك وقائده محمد أبو الدهب .

وفى اليمن استطاعت العصبيات المحلية القيام بثورات متعددة ضد الحكم العثمانى ، تمكنت خلالها من انهاك جيوش الدولة العثمانية حتى اضطرتها إلى الجلاء عن اليمن لفترة(٣) .

١- الراقد : المرجع السابق ص٢٧٨-٢٨٠ .

٢- عبد العزيز نوار : داود باشا والى بغداد ، القاهرة ، دار الكاتب العربى ، ١٩٦١ ص١١.

٣- للتفاصيل انظر : فاروق أباظة : المرجع السابق ص٤١٥ .

وفى وسط الجزيرة العربية قامت الدعوة السلفية التى دعت إلى العودة بالإسلام إلى مبادئه الأولى وألقت بتهمة نشر البدع والخرافات فى العالم الإسلامى على العثمانيين.

وفى العراق قامت العصبيات المحلية بالعديد من الثورات ضد الحكم العثمانى مثل ثورة آل مهنا فى جنوب العراق وآل شعيب فى البصرة ، والعشائر الكردية فى كردستان(١).

وفى الشام قامت أسرة آل العظم ، وظاهر العمر بمحاولات للاستقلال الذاتى عن الحكومة المركزية فى استنبول .

ومع كل ذلك فإن خروج هذه العصبيات المحلية على السلطنة لم تقلق الدولة العثمانية كثيرا وخاصة أنها كانت تستطيع الانتظار حتى تحين الفرصة المناسبة فتستعيد نفوذها وعلى سبيل المثال نذكر على بك الكبير وظاهر العمر اللذين استغلا فرصة انشغال العثمانيين فى حروبهم مع الروسيا ونجحا فى الانفصال عن الدولة ورفع راية العصيان ضدها فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر ، ثم ما لبثت الدولة أن استرجعت نفوذها على المناطق التى كانوا يحكمونها بعد انتهائها من الحرب .

أحوال العالم العربى
فى ظل الحكم العثمانى

بعد أن سيطرت الدولة العثمانية على العالم العربى فى معظمه ، وصارت الدولة الإسلامية الوحيدة فى المنطقة تقريبا ، تحول العالم العربى إلى منعطف جديد فى النواحى السياسية والاقتصادية والاجتماعية وفيما يلى نعرض لذلك .

١- نوار : المرجع السابق ص٦٨-٦٩ .

أولا : الأحوال السياسية :

١ – انتقال مركز الخلافة من القاهرة إلى الآستانة :

بعد هزيمة المماليك أمام العثمانيين انتقل مركز الخلافة من القاهرة إلى الآستانة(١)، واتخذ السلطان سليم الأول لقب الخليفة ليضمن ولاء العرب والمسلمين له على اعتبار أن الخليفة هو فى الواقع خليفة رسول الله وانه يجب على المسلمين طاعته .

٢ – العثمانيون والأماكن المقدسة :

أضفت الدولة العثمانية حمايتها على الأماكن المقدسة لما لها من أهمية دينية ، وحمل السلطان العثمانى ألقاب حامى حمى الحرمين الشريفين ، وخادم الحرمين الشريفين، وهو لقب يكسب من يحمله احترام المسلمين وتقديرهم(٢) ، وكان السلطان سليم الأول قد اتخذ لنفسه هذا اللقب بعد أن أرسل شريف مكة ابنه إلى القاهرة ليبلغ السلطان العثمانى ولاءه واعترافه بالسيادة العثمانية على الحجاز ، وتمسك السلاطين العثمانيون منذ ذلك الوقت بهذا اللقب الدينى(٣) . ولحماية الأماكن الإسلامية المقدسة من أخطار البرتغاليين الذين حاولوا أكثر من مرة النيل منها أغلق العثمانيون البحر الأحمر ، وحولوه إلى بحيرة إسلامية(٤) .

٣ – عدم إشراك العناصر العربية فى حكم بلادها :

ركزت الدولة العثمانية سياستها على أن يبقى العالم العربى فى حوزتها أطول مدة ممكنة ، ولذلك لم يسمحوا للعناصر العربية فى حكم بلادها ، بل قاموا بنشر عوامل الصراع بينها حتى تنشغل عن التفكير فى السلطة يضاف إلى ذلك أن الحكم العثمانى كان مركزيا ، فكان السلطان هو السلطة العليا المسيطرة على كافة الأجهزة السياسية والادارية والعسكرية ، وكان السلاطين يرون أن الولايات العربية وما عليها هى من أملاكهم الخاصة ، ولهم حق التصرف فيها على أية صورة ، ولم يكن يهم الدولة سوى جمع الأموال والحاصلات التى صارت نهبا لها ولأتباعها(٥) .

١– الراقد : المرجع السابق ص٢١١–٢١٤ .

٢– الراقد : المرجع السابق ص٢٢٨–٢٢٩ .

٣– عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها جـ١ ص٦٦ .

٤– محمد أنيس: الدولة العثمانية والشرق العربى ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ١٩٨٥ ص١٤٤ .

٥– الراقد : المرجع السابق ص٢٦١–٢٦٥ .

٤ – عدم إشراك العرب فى الدفاع عن بلادهم :

بعد الفتح العثمانى للعالم العربى صار الدفاع عن الولايات العربية ضد أية اعتداءات خارجية من اختصاص القوات العثمانية فأفقد ذلك المواطنين العرب الإحساس بقدرتهم على حماية بلادهم(١) .

ثانيا : الأحوال الاقتصادية :

أبقى العثمانيون النظم الاقتصادية القائمة على النظام الاقطاعى قبل حكمهم الولايات العربية كما هى .

وقد عنى السلطان سليم الأول بمسح الأراضى فى مصر والشام ، وخصص مقدارا منها للأجناد ومقدارا لنفقات الوالى ومقدارا للسناجق وما عدا ذلك سمى بالأراضى الديوانية أى التابعة للديوان الأعظم بالآستانة . وقد عد السلطان العثمانى نفسه مالكا لكل الأراضى الزراعية ، ورأى أن أصحاب الأراضى لا يملكونها بل لهم حق الانتفاع بها فقط، ونتيجة لذلك أصبحت الأراضى تؤول عند موت صاحبها إلى الدولة ، إلا أن ورثته يستطيعون ردها إلى حوزتهم إذا دفعوا مبلغا من المال للدولة . غير أن ذلك الوضع أخذ يتبدل بمرور الزمن وبخاصة بعد ازدياد نفوذ بكوات المماليك ، وتمكنهم من تقسيم معظم الأراضى فى مصر بينهم فآلت إليهم ملكية ثلث ما يزرع من الأرض ، ووزع الباقى بين الفلاحين والملتزمين والأوقاف(٢) .

وقد قام العثمانيون باتباع طريقة المماليك فى تحصيل الأموال على الأراضى ، باتباع نظام الالتزام بالمزايدة ، وذلك بأن يتعهد الملتزم بدفع مقدار محدد من المال كل عام عن مساحة محددة من الأرض على أن يحصل من الفلاحين العاملين فى هذه الأرض كل ما يستطيع من أموال ، وإذا هرب الفلاح وقت تحصيل الضرائب تصدر ضده عقوبات صارمة . وقد استخدم الولاة سلطاتهم لجمع كل ما يمكن جمعه من الأموال دون الاهتمام بأى اصلاح اقتصادى ، فأدى ذلك إلى تدهور الزراعة والتجارة والصناعة وزاد الطين بلة تحول طرق التجارة العالمية إلى رأس الرجاء الصالح .

١– أنيس : المرجع السابق ص١٤٥ .

٢– عمر عبد العزيز : دراسات فى تاريخ مصر الحديث ، الاسكندرية ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ص١٥٤.

ثالثا : الأحوال الاجتماعية :

نظر العثمانيون إلى المجتمع على أنه ينقسم إلى قسمين : الحكام وهم الأتراك ، والمحكومين وهم الرعية ، وواجب القسم الثانى أن يعمل فى خدمة القسم الأول لإمداده بما يحتاج إليه ، وبعبارة أخرى كان الأتراك يكونون داخل المجتمعات العربية طبقة أرستقراطية عزلت نفسها عن بقية أجزاء المجتمع بحكم فهمها لوظيفتها وإحساسها بذاتيتها، فكان الحكم العثمانى عديم التأثير فى حياة الأهالى(١) ، وخاصة أن العثمانيين لم يشاركوا العرب فى حياتهم الاجتماعية العامة ، ولم يهتموا باللغة العربية وبانعاش آدابها وعلومها ، كما لم يهتموا بعثمنة البلاد فاحتفظ العالم العربى ببنائه الاجتماعى الذى كان سائدا فيه قبل الحكم العثمانى ، فاحتفظت الطوائف الدينية الإسلامية باحترامها ، بصفتهم حماة الشريعة ، وقد نجحت هذه الطبقة فى رد المظالم ، وكانت بمثابة حلقة الوصل بين الطبقة الحاكمة والمحكومة ، كما احتفظت الطبقات المنتجة من التجار والفلاحين وأصحاب الحرف بسماتها السابقة ، فكان لكل طائفة شيخ تخضع لسلطته وينوب عنها لدى السلطات الحكومية ويتولى شئونها ويدافع عنها ويقوم بحل المنازعات بين أفرادها ، ويعاقب كل من يخالف منهم عرف وتقاليد الطائفة عقوبات صارمة ، وكان منصب الشيخ وراثيا وكان لمشايخ الطوائف وكلاء يعرفون باسم النقباء(٢) . أما فى الريف فكان شيخ القرية يقوم مقام شيخ الطائفة وكان الابن يرث أباه فى مهنته سواء كان الأب فلاحا أو تاجرا أو صانعا ، أما البنت فتتزوج زميل والدها فى الحرفة وقد أدى ذلك إلى تقوية الرابطة الاجتماعية وتوثيقها(٣) .

أما أهل الذمة فقد ظلوا على هامش الحياة الفكرية والسياسية فى داخل المجتمع العربى وإن كانت لهم مشاركات فى الحياة الاقتصادية بطريقة فعالة .

وعند تقييمنا للحكم العثمانى فى الوطن العربى يتضح ما يلى :

١ – أن الحكم العثمانى كان ضعيفا فى تأثيره على العالم العربى على الرغم من طول مدته التى تجاوزت أربعة قرون ، فلم ينجح العثمانيون فى عثمنة مصر ، بل ما حدث هو أن تمصر العثمانيون وأصبحوا جزءا من الحياة المصرية(٤) .

١– محمد أنيس : المرجع السابق ص١٤٩ .
٢– عمر عبد العزيز : المرجع السابق ص١٥٦ .
٣– أنيس : المرجع السابق ص١٤٩–١٥٠ .
٤– نفسه ص١٤٤ .

٢ – أن الأحوال الاجتماعية والاقتصادية ظلت جامدة وتدهورت الزراعة نتيجة لعدم الاهتمام بمرافقها ، وتدهورت الصناعة وانحصرت فى بعض صناعات بدائية ، كما تدهورت التجارة بسبب اضطراب الأمن ، وسوء طرق النقل ، وضعف القوة الشرائية(١).

٣ – أن الحكم العثمانى كان يستند فى المقام الأول على رجال الدين الذين وقفوا بجانب الدولة العثمانية للاحتفاظ بنفوذها فى الولايات العربية حيث كانوا يصرون على ضرورة الولاء العام للسلطان باعتباره حامى حمى الإسلام .

٤ – ظهور المحلية : أى إن الأفراد كانوا يقومون بتنظيم أمور حياتهم بعيدا عن تدخل الدولة أو أشرافها ففى المدن كان الناس يقسمون إلى طوائف حسب مهنهم ووظائفهم الاجتماعية ، فالطائفة كانت تضم أصحاب المهنة الواحدة وعلى رأسها شيخ يتولى تنظيم شئونها والفصل فى الخصومات بينها وبين الحكومة ، وفى الريف كانت كل قرية تمثل مجتمعا قائما بذاته يكاد يكون معزولا عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية للقرى الأخرى وبعبارة أخرى ان نظام الحكم العثمانى تميز بضعف التدخل الحكومى ، وترك الأهالى وشأنهم فى كل ما يتعلق بأمورهم(٢) ، وقد أدى ذلك فى نهاية الأمر إلى عدم ولاء الفرد للدولة(٣) .

٥ – نجحت الدولة العثمانية فى وقف الأطماع الأوربية فى الوطن العربى لفترة من الوقت ، فقد أوقفت الخطر البرتغالى على البلدان العربية ، ولاحقت فرسان القديس يوحنا وتمكنت من طردهم من ليبيا ، كما كسرت شوكة الأسبان فى غرب حوض البحر المتوسط .

٦ – اعتاد العثمانيون الأخذ ولم يعتادوا العطاء . فلم يهتموا بتحسين أحوال الولايات ، لذلك كان يندر أن يصل من الآستانة رجل صالح فى أخلاقه معروف باستقامته وسعة معرفته يحسن إدارة الأمور ، ويوقف الظالم عن ظلمه(٤) .

١– د. حسين خلاف: التجديد فى الاقتصاد المصرى الحديث ، القاهرة ، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، الطبعة الأولى ١٩٦٢ ص٧ .

٢– محمد شفيق غربال : محمد على الكبير ص٢٣ .

٣– محمد أنيس : المرجع السابق ص٥ .

٤– محمد كرد على : المرجع السابق جـ٢ ، ص٢٦٧ .